

الغلو في الدين

معناه، وتاريخه، وأسبابه

لفضيلة الدكتور/ علي بن عبدالعزيز الشبل^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، أما بعد:

فقد ثبت في الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.. الحديث. ويقول الناس في أمثالهم: ((الزيادة أخت النقصان))، بل ربما يكون ضرر الغلو والزيادة على الدين وصاحبه أشد وأعظم من ضرر النقص والتقصير؛ لذا حذرنا المولى سبحانه وتعالى، وحاذرنا الغلو في الدين في آيات كقوله من آخر

(١) أستاذ العقيدة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١)، وكقوله في سورة المائدة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

كما نهانا سبحانه عن طريق الطغيان في غير ما آية: منها قوله من آخر سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

ومن السنة في النهي عنه ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، وفي رواية أخرى زاد: ((والقصد القصد تبلغوا)).

وحديث ابن عباس المشهور في جمع حصي الجمار قوله صلى الله عليه وسلم له: ((إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) رواه أحمد وبعض أهل السنن^(٤).

(١) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

(٣) سورة هود، الآية ١١٢ .

(٤) سيأتي تخريجهما إن شاء الله .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

وفي هذا ما وصف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لما رأى ما أحدث من الأمور: ((أيها الناس، من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من دينهم وأخلاقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))^(١).

لهذا كله، ولما جره الغلو على المسلمين في دينهم، قولاً وعملاً، وقبل ذلك اعتقاداً وواقعاً وفكراً ومنهجاً، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم مروراً بفترات تاريخنا المختلفة إلى عصرنا المشهود، وما جره ذلك من الأخطار العظيمة، والمصائب الجسيمة، والمناهج المتباينة على حياتهم وأحوالهم العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية، وقبل ذلك وبعده الحال الدينية، من الغلو في العبادة والغلو في المعصية، وفي البدعة، والغلو في العادة ..

ولما رأيت من الخلط العجيب بين التمسك بالدين والتزامه وبين دعوى الغلو والتطرف والأصولية، وهو الناشئ من الجهل

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ورواه غيره .

بأحدهما أو بهما معاً، وعدم العود بالغلو إلى أصوله الحقيقية وأسبابه الواقعية التي منها نشأ وتفرع في صور عديدة بين المسلمين وغيرهم . رأيت المشاركة في هذه القضية بهذا المختصر، الذي جمع في متناثر مباحثه وقضاياها: حد الغلو وحقيقته، وتاريخه ونشأته، وعلاقته بالأمم قبلنا، وأسبابه، وما ورد في الشرع الخفيف من التحذير منه وذمه .

هذا مجمل محتواه، فإن أصبت فيه فمن توفيق ربي وهدايته، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله منه، وأستغفر الله وأتوب إليه، وأشكر هاهنا مشايخ كراماً تفضلوا بالاطلاع على المختصر وسددوه وأوصوا بطبعه ونشره^(١)، فجزاهم المولى خير الجزاء وأوفره .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزغات الشياطين، وأن ينفع بهذا المختصر من كتبه وقرأه ونشره، وضال المسلمين وجاهلهم، وأن

(١) فقد عرضه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مع بحث آخر عن ((الانحرافات الوثنية اليونانية وآثارها))، على فضيلة الشيخ صالح الفوزان، كما في خطابه الملحق بآخره، وأوصيا بطبعه ونشره، لأهمية موضوعه، وعظم خطره وأثره، كما رغب سماحته في نشرهما في مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء بالملكة، كما اطلع عليها مشايخ آخرون، فقد كان الفراغ منه في ١١/٥/١٤١٠هـ، في الرياض أعزها ربي .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

يجعله لوجهه خالصاً، ولزلفى لديه مقرباً، ولرضاته محققاً، ومن عذابه وسخطه مخلصاً .

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم،
واتبع هديهم، وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته
تتم الصالحات .

أولاً: حد الغلو

بالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية تبين أن الغلو هو:
مجاوزه الحد وتعديه .

- حيث قال الجوهري في الصحاح: « غلا في الأمر يغلو غلوًا، أي جاوز فيه الحد » أ هـ .

- وقال الفيروز آبادي في القاموس: « غلا غلاءً فهو غالٌ وغلي ضد الرخص.. وغلا في الأمر غلوًا جاوز حده » أ هـ .

- ووافقه الزبيدي في تاج العروس .

- وقال ابن منظور في اللسان: « ... أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزه القدر في كل شيء... يقال: غاليت صدق المرأة أي أغليت. ومنه قول عمر رضي الله عنه: " ألا لا تغالوا في صدقات النساء " وفي رواية: "لا تغالوا في صدق النساء". أي لا تبالغوا في كثرة الصدق » .

وغلا في الدين والأمر يغلو غلوًا، جاوز حده .

قال: قال بعضهم: غلوت في الأمر غلوًا وغلانية وغلانيًا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه، ويقال للشيء إذا ارتفع : قد غلا .
قال ذو الرمة:

« فما زال يغلو حب مية عندنا

ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها » أ هـ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

وقال الفيومي في المصباح المنير : «...وغلا في الدين غلوًّا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(١)، وغالى في أمره مغالاة بالغ»^(٢) أ هـ .

وقال ابن فارس في المعجم : «... غلوى: الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلا وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوًّا إذا جاوز حده» أ هـ . وكذا نحوه في الجمل^(٣).

- فمما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد .
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر : «... أي الرقاب أفضل قال: أغلاها ثمنًا وأنفعها عند أهلها»، متفق عليه .
وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «(أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه كما يغلي الرجل)»^(٤)، متفق عليه .
- فعلا الثمن: إذا ارتفع وزاد سعره .

(١) هذا جزء من آية النساء ١٧١ والمائدة ٧٧ .

(٢) كلهم في مادة غلا .

(٣) في الجمل مادة غلا والمعجم مادة غلوى .

(٤) رواه البخاري في كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم ٨٤ .

- وغلّت القدر: إذا زادت حرارتها وارتفعت .
- وغلا في مشيه: إذا أسرع وزاد فيه .
- وتغالى اللحم: ارتفع وذهب، ومنه قول لييد بن أبي ربيعة:
فإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال حذافها
وهكذا غالباً فإن معنى الغلو الزيادة والارتفاع، سوى بعض اشتقاقاتها التي توضع علماً على شيء معين فمظانها كتب المعاجم اللغوية .
- فعليه: الحد اللغوي لكلمة غلو هو : الزيادة ومجازة الحد المألوف .

حقيقة الغلو:

لما كان المعنى الاصطلاحي يقوم على المعنى اللغوي، ويخصص عموم إطلاقه، رجعنا إلى النصوص الواردة في الغلو من الكتاب والسنة .

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١) .

فقد قال القرطبي في تفسيره ٢١/٦ لما ذكر المعنى اللغوي:

(١) سورة النساء، الآية ١٧١ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون: غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر. ولذلك قال مطرف بن عبدالله الشخير: الحسنة بين سيئتين. وقال الشاعر :

((لا تغل في شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميم)) أهـ

- وكذا قال جمع من المفسرين منهم: ابن جرير في جامعه ٤/٤٦،
والبغوي في معالم التنزيل ٢/٣١٣، وابن كثير في تفسيره ١/٥٨٩،
وأبو حيان في بحره ٣/٤٠٠، والزمخشري في كشافه ١/٣١٥، وابن
طيفور السجاوندي (٥٦٠هـ) في عين المعاني ٤/١٣٤٨، وعبدالرحمن
العليمي الحنبلي (٩٢٨هـ) في فتح الرحمن ٢/٧٥٥، وصديق حسن خان
في فتح البيان ٢/٤١٥، والشوكانى في فتح القدير ١/٥٤٠، ومحمد
رشيد رضا في تفسيره ٦/٦٧، وعبدالكريم الخطيب في تفسيره ص
١١٠٧ (وإن كان القول عند بعضهم محتملاً)، وحكى ابن الجوزي
في زاد المسير ٢/٢٦٠، والماوردي (٤٥٠هـ) في تفسيره ص ١١٠٦،
وذكر اختلاف العلماء في تفسير الآية بذكر قول من خصص الآية
بالنصارى وحدهم، وهو الذي عليه جمع من المفسرين، وفي بعض
من سبق الإحالة إليهم .

فالذي يفهم من هذه الآية ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي

دِينَكُمْ ﴿ عمومها لجميع أهل الكتاب من يهود ونصارى؛ إذ العبرة بعموم اللفظ ودلالة السياق تدل عليه أيضاً، فإن النصارى زادوا وجاوزوا الحد في نبي الله عيسى فرفعوه عن منزلته، وإن اليهود جفوا وفرطوا في حقه فغلوا في الجفاء والتفريط وزادوا فيهما، حتى قذفوا أمه الطاهرة العذرية، بما برأها الله تعالى منه .

ومن احتج على خصوص الآية بالنصارى بتقدم سياق الآيات السابقة لها في اليهود، وهذه الآية آخرها يدل على قول النصارى وكفرهم، زعمهم بالأكاذيب الثلاثة، فيجاب عليه بما سبق من عموم لفظة أهل الكتاب، وانطلاقه إلى اليهود والنصارى ما لم توجد قرينة ولم توجد، وباستمرار السياق في بني إسرائيل في هذه الآية وما قبلها يدل على العموم من اليهود والنصارى؛ إذ كل منهم غلا في دينه كما سيأتي تحديد الغلو، وقول كل منهم على الله غير الحق، فليس عيسى رباً أو ابناً لله، أو ثالث ثلاثة، وليس هو ابن فحش وزنا وبغاء .

ثم إن آخر الآية يختص بالنصارى من قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾، وذلك لعظم جرمهم في التوحيد؛ لأن عيسى نبيهم وهاديتهم إلى الفطرة السليمة والملة القويمية، وأنهم هم من ادعوا فيه تلك الدعوى الظالمة، فكان آخر الآية مخصوصاً بالنصارى لذلك .

ومنه آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان وهو غلو في الغي كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

عَلَيْكُمْ غَضَبِي^(١)، وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ قِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٢)، وقال عن الخاسر صاحب الجحيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾^(٣)، وقال في آخر سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

ومن السنة :

- ما رواه الأربعة من قول عمر: ((ألا لا تغالوا في صدق النساء))^(٥).

- ولما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تغالوا في الكفن، فإنه يسلبه سلباً سريعاً))^(٦).

(١) سورة طه، الآية ٨١ .

(٢) سورة النازعات، الآية ١٧ .

(٣) سورة النازعات، الآيتان ٣٧، ٣٨ .

(٤) سورة هود، الآية ١١٢ .

(٥) رواه أبو داود في كتاب النكاح، والترمذي باب ما جاء في مهر النساء . والنسائي في باب القسط في الأصدقاء، وابن ماجه في باب صدق النساء رقم ١٨٨٧، وكلهم في كتاب النكاح .

(٦) رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب كراهية المغلاة في الكفن (٣١٥٤)، من طريق أبي مالك الجنبلي، وهو عمرو بن هاشم الكوفي، لين الحديث، وشدد فيه ابن حبان في كتابه، المحروحين .

فقد قال صاحب المنهل العذب المورود ٣١٣/٨، ٣١٤ : أي لا تبالغوا في ثمنه، ولا تجاوزوا الحد الشرعي فيه، فإن الكفن يبلى على الميت سريعاً فلا ينتفع به، والمغالة في إضاعة المال .
قال: باب كراهية المغالة في الكفن: ((أي الزيادة عن الحد الشرعي، ويقال: غاليت في الشيء وغلوت فيه إذا جاوزت فيه الحد..)) أهـ . قال البيهقي: وهو ضعيف فيه عمرو بن هشام تكلموا فيه . وكذا قال نحوه في عون المعبود ٤٢٩/٨، ٤٣٠ : وضعف إسناده ونقل عن ضعفه .

- ومما ورد في السنة أيضاً: ما رواه أحمد بإسناده عن عبدالرحمن بن شبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به..))^(١).

- وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: ((القط لي حصي))، فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول: ((أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم^(٢) .

(١) الفتح الرباني ٢٨/١٨ .

(٢) رواه أحمد في المسند كما في الفتح الرباني ١٦٩/١٢، كتاب الحج والعمرة =

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

- وفي حديث أبي هريرة في البخاري مرفوعاً: «لن ينجي أحداً عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»^(١).

- فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة، وأن الغلو هو: «الإفراط في مجاوزة المقدار المعبر شرعاً في أمر من

= باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها، ورواه النسائي كتاب المناسك، باب قدر حصى الحذف، وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى . ورواه الحاكم في مستدركه ٤٦٦/١ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه . وقال النووي في المجموع ١٢٧/٨: صحيح رواه البيهقي بإسناد حسن صحيح وهو على شرط مسلم رواية عبدالله بن عباس عن أخيه الفضل . ورواه النسائي وابن ماجه بإسنادين صحيحين، إسناد النسائي على شرط مسلم... أهـ . وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير ٣٨٧/٧ حيث حقق من كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم والتقط له الحصى: عبدالله أم الفضل، وصوب أنه الفضل، وهو تحقيق نفيس، وكذا كلام النووي السابق، وفي فتح الباري ٢٩١/١٣: وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس . وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: هو حديث صحيح ونقل عنه الشيخ صالح البليهي رحمه الله، في السلسلة في معرفة الدليل ٣٦٧/١، أنه قال : على شرط مسلم، ولم أقف عليه .

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ، باب القصد والمداومة على العمل، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله برقم ٢٨١٦ .

أمور الدين» .

فالنصارى جاوزوا المقدار المعتبر في حق عيسى عليه السلام، وأنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فأفرطوا إلى القول بألوهيته وربوبيته. واليهود جفوا في حقه فزادوا في التفريط تجاوزاً بلغ الغلو فيه إلى القول بأنه ابن زنا وبغي، وقذفوا أمه؛ فهم غلاة في جفائه .

وكذلك حال المعطلة الذين غلوا في التنزيه فأفرطوا، وحال المشبهة الذين غلوا وزادوا في الإثبات حتى غلوا في الإثبات، وسيأتي الكلام عليهم في موضعه إن شاء الله، وعلى هذا فقس .

علاقة الغلو بالإفراط والتطرف :

الغلو في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة. فالغلو في الكفن هو المغلاة في ثمنه والإفراط فيه .

والغلو أحص من التطرف؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى: سلباً أو إيجاباً، زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، وسبق الغلو في قول القائل:

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم
فالغلو أحص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلواً إذا بالغ في النقص،

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

فيقال: غلا في النقص، كما سبق في قول اليهود في المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم .

والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف. أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلو .

الفرق بين التمسك بالنصوص والغلو :

في الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكاً والتزاماً لنصوص الشريعة مطلقاً، ومع هذا لم يحصل لهم غلو أو تشديد - إلا في قضايا عينية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها^(١)، وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل، فانتهوا وتركوا ما هم عليه .

(١) كقصة عبدالله بن عمرو بن العاص في إطالة الصوم، المتفق على صحتها، رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم ١١٥٩، كحديث عبدالله بن الشخير في وفد بني عامر وفيه « فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى ». فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال: « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داود والنسائي بأسانيد جيدة . وما قوله عليه السلام ذلك إلا سداً لطريق الغلو فيه، انظر: فتح المجيد ٥١٧ .

وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فتجرا من الغلو فضلاً عن الاستمرار فيه، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريباً، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم العاض عليها بنواجذه منبوذاً مستهزأً به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمترمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين... ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام .

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة، وفهمها فهماً صحيحاً، يعتبر عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلوّاً وتطرفاً، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفریط ظاهر، وقصور في التزام منهج الإسلام جلي ملموس .

ولنأخذ مثلاً يوضح ما سبق: فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية اتهمت من كثير من الناس - علماء وغيرهم - بتكفير الناس - الذي هو مظهر من مظاهر الغلو البارزة - أو أنهم خوارج... ونحوها من ألقاب تفيد مجاوزة اعتدال الإسلام وسماحته، ينبزونهم بألفاظ هي في الشريعة وصف لأقوام متشددين لا فقه لهم ولا نظر^(١)، وهي من ذلك براء براءة الذئب من دم يوسف

(١) انظر الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفيها =

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

عليه السلام، لكن ما حيلة من شرق بها إلا ذلك .

والملاحظ أن المتمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفاً، وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لم نجد عندهم معنى التمسك المطلوب، فالمقصرون يلّمزون المتمسكين بالغلو والتطرف على أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه، وما أظهره هو الاعتدال، وهو في الحقيقة ليس كذلك؛ إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه، ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام كمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك .

أعني أن هذه الدعاوي ليست من باب الأسماء والأحكام، أو لتبين معاني شرعية بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة . فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحمل، ومن استعمال المعاني الشرعية في الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة ! .

ثانياً: تاريخ الغلو ونشأته عند المسلمين :

الغلو قديم في البشرية وجد قبل إرسال الله تعالى الرسل،

= بحث د. عبدالرحمن عميرة وغيره في : أسبوع الشيخ محمد . المجلد الثاني . وكذا المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور عبداللطيف .

وذلك بعد آدم عليه السلام بزمان إلى أن أرسل الله رسوله نوحاً عليه السلام. فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في أقوام كانوا صالحين فغلوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله، ثم أنهم صوروا لهم أصناماً تكون رمزاً لعبادتهم حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(١).

أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال في هذه الآية: ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدو أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان..، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت))^(٢). والأنصاب جمع نصب وهو الصنم ينصب للميت لتخليد ذكره. هذه في الحقيقة تمثل نوعاً من الغلو، في باب الغلو في

(١) سورة نوح، الآية ٢٣.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح متصلاً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ سورة نوح.

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

الأشخاص .

ثم وجد بعد ذلك نوع من الغلو عند بني إسرائيل من يهود
ونصارى كما سبق في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ﴾^(١)، كما وجد الغلو في التكفير عند كل من اليهود
للمنصارى والعكس حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة دم كل منهما
الآخر^(٢).

فاليهود تقرر مبدأ القتال لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم وأنهم
أبناء الله وأحباؤه وما سواهم خدام لهم مسخرون لأجلهم وأميون .
والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشريعة عيسى عليه
السلام، كما نعموا على اليهود لأنهم صلبوا عيسى عليه السلام
كما يظنون ! .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ ۖ قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۗ ﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية ١٧١، سورة المائدة، الآية ٧٧ .

(٢) تفاصيل هذا في مقال علمي في مجلة الفيصل عدد ١٣٤، شعبان ١٤٠٨هـ،
تحت عنوان: ((التطرف الديني عند بني إسرائيل)) لعبد الرحمن عبد المحسن،
عزز أقواله بنقول من العهدين القديم والحديث ص ٨٧-٩١، وانظر الإلحاد
وعلاقته باليهود والنصارى، د. محمد الشويعر، في مجلة البحوث الإسلامية
عدد ١٤ عام ١٤٠٥هـ، ص ٢٠٩ .

(٣) سورة المائدة، الآية ١٨ .

نشأة الغلو عند المسلمين :

ذكرت وجود حالات فردية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الغلو، لكنها لا تذكر لقلتها ولعدم استمراريتها ولأنها لا تمثل عقيدة أو منهجاً؛ بل سرعان ما تزول عند معرفة الصواب، وهو أمر طبيعي في أي دعوة؛ خاصة دعوة الإسلام، وسببها - والله أعلم - التباين والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها وكذلك اختلاف قوة الدافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها . لكن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع أن يفقه أصحابه ويعلمهم ليصححوا ما قد يحصل من بعضهم من غلو - إن جاز التعبير - كما سبق في الأمثلة؛ منهم الثلاثة الذين تقالوا عبادته صلى الله عليه وسلم، لكن سرعان ما رجعوا إلى الاعتدال لما فقهوا^(١).

ولما قتل عثمان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً وغدراً، ظهرت الفتن، وثارت أعاصير الشبهات، وأقبلت الفتن مهولة يحمل رايتها الغلو والتطرف، فكان غلو الخوارج وتشددهم وخاصة في التكفير وموقفهم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم ظهرت غالية السبائية: نسبة إلى عبدالله بن سبأ أول من أوقد الزندقة في الإسلام

(١) هذه القصة وردت في حديث متفق عليه من ربايعات الشيخين، رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم ١٤٠١ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

في ذات علي رضي الله عنه، فقد قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٤٣٤ :
« وفي أيامه - يعني علياً - خرجت المغالية وادعوا أن في علي الإلهية، قال الحافظ ابن حجر: ورد من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم علي وقال لهم: ويلكم إنما أنا مثلكم أكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أناثاني وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا ! فأبوا ! فلما كان الغد غدوا عليه، فجاءه قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام . فسأل فأدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال: لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك . فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم - عمالاً معهم أدوات حفرهم - فخذ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر وقال لهم: احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالخطب فطرحه في النار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقف بهم حتى احترقوا وقال:
لما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً
وإسناده حسن .

وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال: لو كنت أنا

لم أحرقهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تعذبوا بعذاب الله)). ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من بدل دينه فاقتلوه))^(١)، فبلغ ذلك علماً فقال: صدق ابن عباس أ هـ^(٢).

وهذه الحادثة مشهورة في التاريخ ذكرها جملة من أهل المقالات - ولولا الإطالة لأحلت إلى كتبهم - وقد وقفت على قول لبعض المعاصرين^(٣)، ينكر فيه هذه القصة ويدعي أنها : ((خبر مختلق من أساسه ولم يرد على صورة فيها ثقة، في كتاب معتبر من كتب التاريخ.. وينتهي بنا المطاف إلى فائدة عظيمة هي أن السبئية ركام من التهم ألقيت على جماعة.. إن عن قصد أو عن غير قصد)) أ هـ .

قلت: من فمك أدينك؛ فهذه القصة ليست مختلفة بل توارد

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله .

(٢) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، للشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، ص ٤٣٤ .

(٣) هو: د. كامل مصطفى الشبيبي في كتابه الصلة بين التشيع والتصوف ص ٩٠، ٩١؛ بل تعدى إلى أبعد من هذا، فادعى أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر رضي الله عنه، وحاول التوفيق بين صفات ابن سبأ الموجودة في كتب التاريخ وصفات عمار وموافقتها، انظر ص ٣٨-٥٤، ٨٤-٩٢ ومناقشة هذا الزعم يحتاج إلى بسط في غير هذه المناسبة. وهذا القول ظهر أخيراً من أعداء الإسلام من المستشرقين وأذئابهم، ولا يبعد أن يكون النفي له أصل متقدم معتمد على نفي الرفض له، مع أن النوبختي قد ذكر ابن سبأ، وذكر فرقته السبئية في كتابه: فرق الشيعة ص ٢٢، ٢٣ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

عليها جمع من المؤرخين وكتاب المقالات. كما ذكرت بعضاً منهم في كتابك. والأعجب من هذا أن رويت بإسناد حسن كما قاله الحافظ ابن حجر .

بل حديث ابن عباس في البخاري قرينة واضحة على وقوع تلك الحادثة. وعليه فلا مدخل من هنا على تكذيب هذه الحادثة لمن نظر وتعقل . ومن صحيح الحديث لم يتكدر .

وبعد هذا ندرك كيف كانت هذه الطغمة الفاسدة، السبئية أول مظاهر الغلو الحقيقي وأكثرها رواجاً على غلاة الرافضة خاصة، وباقي الفرق الإسلامية عامة. وحسبك أن تنظر إلى كتاب واحد من كتب الملل والمقالات لترى ! .

ولم نعتد بغلو الخوارج على أنه أول للآتي:

- أن غلوهم أخف بكثير من غلو هؤلاء السبئية بعلي رضي الله عنه .

- الخوارج وقعوا فيما وقعوا فيه عن سفه ونقص في عقولهم وبصيرتهم وعلومهم^(١).

(١) بدليل أنه لما حاجهم ابن عباس في دلائلهم وأتى بنظائر ما توهموه: في مسألة تحكيم الرجال في آية النساء، وسبي أم المؤمنين، واستحلال مال ودم المسلمين، رجع منهم كثير اختلفوا في عدده، ورفض الباقر مناظرة ابن عباس؛ لأنه من قريش، ولأنهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ سورة الزخرف، الآية ٥٨ .

فلم يكن قصدهم إفساد الدين والمسلمين - قطعاً - كما هو الحال عند غلاة الرافضة. فعليه فأجلى مظاهر الغلو ومنشؤه عند المسلمين هو غلو السبئية نسبة إلى عبدالله بن سبأ الهمداني اليهودي الصنعاني المكني بابن السوداء الذي أسلم في عهد عثمان وقاد الفتنة بين الصحابة وعلي ومن معه، وكان ناشر مقولة الغلاة في تأليه علي وقد نفاه علي إلى ساباط المدائن حيث لم يصرح أمامه بقوله بإلهيته . إذن يمكن القول بأن نشأة الغلو في الإسلام بهذا الفكر، وتلك العقائد؛ إنما كان بسبب عبدالله بن سبأ اليهودي أبعد الله .

علاقة نشأة الغلو عند المسلمين بالعقائد القديمة :

إذا تقرر أن أول غلو نشأ عند المسلمين، وأثر على القرون اللاحقة هو غلو عبدالله بن سبأ في ذات علي رضي الله عنه، وأن ابن سبأ شخصية حقيقية تكاد مصادر العقائد تجمع على أنه أول من دعا إلى فكرة تقديس علي ثم آل بيته ^(١)؛ وأنه يهودي أصلاً وكانت بعض العقائد القديمة موجودة عند فرق الإسلام والغلاة، خاصة الرافضة، لما كان هذا موجوداً جعل بعض المعاصرين يبحث في نظريات الغلو عند المسلمين من أين جاءت ؟

فمن قائل إنها من أصل هندي أو مجوسي أو يهودي أو

(١) كما في نشأة الفكر الفلسفي ٦٨/١ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

نصراني أو من أصل عربي^(١).

والواقع أن ما عند الغلاة هو حصيلة أغلب تلك العقائد مع التأثير الملحوظ باليهود خاصة أنه دين أول فرقة غالية في الإسلام^(٢). وهذا قول أعرف الناس بالرافضة وهو الإمام الشيعي التابعي الجليل (١٠٤هـ). فقد روى أبو القاسم اللالكائي الطبري بسنده إلى عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: «قال الشيعي: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً أو أن يملؤا بيتي ذهباً - يعني الرافضة - على أن أكذب لهم على علي لفعلوا، ولكن والله لا أكذب عليه أبداً، يا مالك: إنني قد درست هذه الأهواء كلها فلم أر قوماً هم أحق من الخشبية، من فرق الرافضة، لو كانوا من الدواب لكانوا حمراً، ولو كانوا من الطير لكانوا رخماً. وقال أحذر الأهواء المضلة وشرها الرافضة، وذلك أن من يهود من يغمصون الإسلام

(١) بحث هذه القضية جمع من المعاصرين، منهم د. عرفان عبد الحميد في دراسات في العقائد الإسلامية ٣٤-٤٣، والسامرائي في الغلو والفرق الغالية ٧٩، ٨٠، ١٢٥-١٨٠، ود. علي النشار في نشأة الفكر الفلسفي ٦٨/١ والجزء الثاني من أثر اليهود على مذهب الرافضة، ونظلة الجبوري في حركة الغلو وأصولها الفارسية، وكامل الشيبني في الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٢٨، وأحمد أمين في ضحى الإسلام ٢٧٨/٣، ومحمد أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ٣٧/١، ٣٨. وغيرهم.

(٢) طبعت أخيراً دراسة حول هذا الموضوع في مجلدين عنوانها «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود».

لتحيا ضلالتهم، كما غمص بولس بن شأول ملك اليهود دين النصرانية، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً لأهل الإسلام، وطعناً عليهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب بالنار، ونفاهم من البلدان: منهم عبدالله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبدالله ابن يسار نفاه على خازر وأبو الكروس وابنه إلى الجابية)).

وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود . وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في آل علي .

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، أو ينزل عيسى من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد حتى يخرج المهدي، ثم ينادي مناد من السماء .

واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة .

والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم)) .
واليهود يولون عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة .

واليهود تسدل أثوابها، وكذلك الرافضة .
وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قد سدل ثوبه فقمصه عليه أو عطفه عليه .

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة .
واليهود لا يرون الطلاق ثلاثاً شيئاً، وكذلك الرافضة .
واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة .
واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدونا من الملائكة،
وكذلك صنف من الرافضة، هم الغرابية يقولون: غلط بالوحي على
محمد^(١).

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين :
سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى .
وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: حواريو عيسى .
وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد .
أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى
يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم راية ولا تجتمع لهم كلمة،
دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها
الله عز وجل أه^(٢).

(١) لأن الغرابية قالوا: إن علياً يشبه محمداً، كما يشبه الغراب الغراب، فاختلط
ذلك على جبريل فغلط، حيث بدل من أن ينزل الوحي على علي، أعطاه
محمداً ؟ قبحهم الله ! والله يقول: ﴿ تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢٠﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ سورة الشعراء، الآيات ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) ذكر ابن تيمية لهذا الأثر طريقين في منهاج السنة؛ أحدهما عن ابن شاهين
بسنده إلى الشعبي، والآخر من طريق أبي عمرو الطلمنكي إليه، وساق =

وإليك ما قاله أبو بكر الباقلاني في كتابه فضائح الباطنية -
يسر الله بعثه - بواسطة شرح الطحاوية ص ٩٠ قال فيه : « ولهذا
كان الرفض باب الزندقة كما حكاه القاضي أبو بكر الطيب عن
الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام قال: فقالوا للداعي: يجب
عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك
وشعارك واجعل المتصل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين
والتبري من تيم وعدي - قبيلة أبي بكر وعمر - وبني أمية وبني
العباس - مع أنهم من آل البيت - وقل بالرجعة وأن علياً يعلم
الغيب يفوز إليه خلق العالم !. وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة
وجهلهم، فإذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً،
أوقفته على مثالب علي وولده رضي الله عنهم » أهـ^(١).

وأخذ الغلاة من الرافضة عن المجوس أهل فارس - كما سيأتي
في حديث أبي هريرة في الموقف من الغلو - حيث صرح النبي صلى
الله عليه وسلم أنهم يأخذون عن فارس والروم .

= لفظيهما بتمامهما، وأشار إلى رواية اللالكائي هذه وقال بعدها: فهذا الأثر
روي من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض،
كعن عبدالرحمن بن مالك، ضعيف، ثم قال: وذم الشعبي لهم ثابت من طرق
أخرى. المنهاج ٢٢/١-٢٦. وقال محقق كتاب اللالكائي في رقم ٢٨٢٣:
إنه رواه الخلال بلفظ أطول من رواية اللالكائي .

(١) استفاد من كتاب الباقلاني الغزالي أبو حامد في فضائح الباطنية وهو مطبوع
في مجلد لطيف .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

- ومن العقائد التي تأثر بها الغلاة القول بالوصية أتى بها ابن سبأ بأن قال: إن علياً وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عقائد يهود أنهم يقولون: إن يوشع بن نون وصي لموسى عليه السلام .

- وأخذوا من اليهود التشبيه - تشبه الخالق بالمخلوق - حيث قالت اليهود: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾^(١)، وقالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾^(٢)، ومتقدمو الرافضة مشبهة بحسمة ومن أشهرهم هشام بن الحكم الرافضي، والجواليقي .

- وقالوا برفع علي إلى السماء وكذب ابن سبأ من قال بموته، وأنه لو أتى بدماعه في صرة أو بسبعين صرة لم يصدق بموته، وأنه سينزل إلى الأرض. كقول أهل الكتاب في إيليا عليه السلام وهو عقيدة الرجعة .

وقالوا: إنه فوق السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه يضرب به السحاب .

- وأخذوا القول بنفي القدر وأن العبد يخلق فعل نفسه، وهو قول فرقة من اليهود تسمى الفروشم^(٣) .

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨١ .

(٣) كما في تاريخ المذاهب ١/١٢٥، نقلاً عن أحمد أمين من فجر الإسلام، ترجمة هذه الكلمة المعتزلة .

- وأخذوا من النصارى والهنود الحلول والتناسخ^(١).

وغيرها من العقائد التي أفسدت عليهم دينهم، ولا أخص بذلك غلاة الشيعة بل كل من أتى بفكر غال، كالمعتزلة غلاة القدرية والحلولية والاتحادية والباطنية وعموم الزنادقة قبحهم الله ! .

ثالثاً: أسباب نشأة الغلو في الدين

يتحصل من دراستي للفرق الغالية خاصة، ونشأة الغلو والشرك بين الموحدين، أن الشيطان تمكن من قلوب أولئك وعقولهم وأفسدها كما أراد، وسلك معهم الأساليب المختلفة، وهذا مسلكه مع عباد الله ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ

(١) هذا باستقراء كتب الفرق والمقالات التي وقفت عليها، وما ذكرت إلا أهم العقائد، ويراجع على سبيل الخصوص الكلام على فرق غلاة الروافض الذين ظهر تأثيرها جلياً بالعقائد القديمة والثنية كالسبائية، الكبسائية، البيانية، الخطابية، النصيرية .. وانظر فيها: الملل والنحل ١٢/٢، ١٣، والفصل لابن حزم ١٣٧/٥-١٤٤، ودراسات العقائد الإسلامية ٣٥-٤١، ومقالات الإسلاميين ١-٦٦/٨٨، والزينة للرازي ٣٠٣-٣٠٧، واعتقادات فرق المسلمين ٧٠، ٧١، والفرق بين الفرق ١٧٧، وما بعدها ونشأة الفكر الفلسفي ١/ الفصل الأول والثاني والرابع، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٦٧-٨٥، والتبصير في الدين الباب الثالث عشر ١٢٣-١٢٤٨، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٨-٤٣ و ٥٨، ٥٩، والفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة المبتدعة، ورسالة « بيان الفرق الضالة » لليازجي والنواقص لظهور الروافض للبرزنجي، وكلاهما خطيتان ومصورة عندي، والفرق المفرقة للأفندي، والباكورة السليمانية وغيرها .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، فهو يظلمهم ويتبرأ منهم، ويكون قوله يوم القيامة، كما قصه الله علينا في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

وسأحاول هنا تعداد الأسباب التي أدت بأقوام أو أفراد، إلى الانحراف عن المنهج الوسط القويم، إلى الغلو والضلال، فمن هذه الأسباب :

١- الجهل بأحكام الشرائع السماوية وقلة البصيرة فيها أو مخالفتها ولو بمقصد شرعي ابتداء كما حصل لقوم نوح عليه السلام، وهذا يؤدي إما على فهم زائد عن الواجب وهو الغلو والإفراط، أو عكسه تفريط وغلو فيه عن الواجب .

ولا بد من التنبيه إلى أنه لا يكفي حسن المقصد لتبرير تصويب الوسيلة أو التغافل عنها البتة ! .

٢- دخول كثير من أهل الأديان السابقة الإسلام بقصد

(١) سورة الحشر، الآية ١٦ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٢ .

الكيد له، وإفساده - كما يدعون أن أفسد عليهم دينهم بفتح بلدانهم ونشر الإسلام فيها - فكان هذا من المنافقين والزنادقة أقوى وسيلة لتقويض دعائم الدين وتهوين أصوله بيث العقائد المغرضة فيه، وتأمل النقل السابق عن الباقلاني في فضائح الباطنية، وكيدهم للإسلام، واتخاذهم الرافضة مطية لذلك .

كذلك ما سبق هذا من حنق اليهود وغيرهم من الجحوس والنصارى على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، كما هو معروف في سيرتهم بالمدينة والجزيرة .

٣- الاعتماد على مصادر مغايرة لمصادر الشريعة الإسلامية في التحاكم إليها كالعقول المجردة - الفاسدة - والمناطق والفلسفات الكلامية العقيمة التي تُزَع ما فيها من خير . واعتبر بحال المعطلة وغلاتهم وأمثالهم .

٤- التعصب الأعمى، والتفوق على المعتقد القديم، تعصباً يكون معه رد ما عند المخالف ولو كان حقاً، بل وطرح الأدلة القطعية وعدم الاعتداد بها - وهي أدلة الكتاب والسنة - أو صرف الهمّة إلى الفروع وبناء الولاء والبراء عليها؛ فيؤدي إلى ظهور مظاهر غير محمودة كالعنف في التعامل، والتزام التضييق على الناس مع قيام موجبات التسهيل ودواعيه، وأسبابه التيسير عليهم؛ مثل حال الخوارج إلى هذا الوقت، ومن مظاهرها ما يحصل من مقلدة المذاهب

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

الفقهية، المتعصبين لها مقابل النصوص والأقوال الصحيحة .

٥- وجود التفريط في العمل بالأحكام الشرعية أو فكرة معينة أو عقيدة ما، الذي يفضي بدوره إلى وقوع ردة فعل قوية أو العكس فتكون بين طرفين متناقضين .

كذلك وجود المنكرات جهاراً علانية، بل الكفر الواضح في مجتمع معين، أو فكر محدد، يولد غلواً في مكافحته ودفعه، كالمرجئة مقابل الخوارج، والمعتزلة في باب الأسماء والأحكام، وكالمعطلة مقابل المشبهة في الصفات، وكالرافضة مقابل الناصبة الخوارج في آل البيت خصوصاً... إلخ .

- أو استخدام القوة أو العنف بدلاً من الحكمة والحسنى يقابله زيادة التمسك بفكرة الغلاة وأقوالهم. ومثله وجود تساهل في منهج فرقة معينة يقابله التشديد في منهج فرقة مقابلة، وتأمله في واقع الفرق الإسلامية قديماً وحديثاً ! . ثم استلهم العبر ! .

٦- الاستقلالية في استنباط الأحكام الشرعية دون ضابط محدد ومنهج حق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومستند السلف الصالح واللغة العربية، وفي الوقوف على الأدلة ودلالاتها وأقوال أهل الفقه والبصيرة فيها .

- فما حصل من واصل بن عطاء الغزال في قصة اعتزاله عن الحسن البصري نوع من هذا .

- وكذا ما حصل عند كبار المتصوفة والباطنية الذين خاضوا وتكلموا بالنصوص السمعية بأهوائهم لا بما تدل عليه . فالنص يدور في فلك معين وهم في فلك آخر مغاير له .

- وكذا ما يقع من بعض الجماعات المعاصرة - وخاصة الشباب - من استقلالية بالأخذ عن الكتاب والسنة بدون ضابط، حتى ظهرت العبارة المشهورة « نحن رجال وهم رجال » دون الاعتداء بأهل العلم والبصيرة من علمائهم .

٧- نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفسدات الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس .

- ومما يؤكد النقص الواضح في التربية، تخلي بعض العلماء أو أكثرهم على مر العصور عن حقوق العلم وواجباتهم نحوه، وهذا أمر نسبي يختلف من زمن لآخر، ولكنك تراه واضحاً في زمان أو مكان قلوا فيه أو انعدموا ! فتكون البيئة عندئذ خصبة، والدواعي معتبرة، والجو مهيئاً لقبول الغلو وظهوره وانتشاره .

- ولكن أبرز الأسباب التي أجدها معتبرة في عزو الغلو إليها، وهي بذاتها أسباب الغلو في قوم نوح وبداية الدعوة المحمدية الإسلامية وبعد مقتل عثمان... والغلو المعاصر، فإن هذه الأسباب

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

هي كبرى البواعث غالباً على الغلو وآثاره .

- يعزو أحد العلماء المعاصرين ^(١)، أسباب الغلو إلى الاعتماد

على التشابهات، فهل المقصود الآيات المتشابهات مقابل المحكمات أو غيرها ؟ فإذا كان هذا، فهذا ثم سبب متداخل مع ما سبق وربما يكون وسيلة من وسائله، وهو نتيجة لبعض ما سبق من أسباب: كالجهل والاستقلالية بالاستنباط وردود الأفعال .

أو كان المراد به التشابهات التي هي قسيم الواضحات الجلية من المسائل في نعم ! لأنها تنجح بالأفكار إلى مدى بعيد عن الحقيقة والصواب، والله سبحانه يقول: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢).

رابعاً: النصوص الواردة في التحذير من الغلو وذمة

(موقف الإسلام من الغلو)

لما كان الدين منزلاً من عند باري السماوات والأرض وما فيهما كان سبحانه أعلم بحدود البشر وإمكانياتهم، فشرع لهم ما يناسبهم ويوافق قدراتهم فجاء الإسلام ديناً سمحاً سهلاً، دين يسر دفعته فيه المشقة بالقدرة والاستطاعة ^(٣)، كما قال تعالى: ﴿ لَا

(١) هو: د. يوسف القرضاوي في كتابه قضايا إسلامية معاصرة على بساط

البحث، ص ١١٥، ١١٦، وانظر: رسالته: « الغلو في التكفير » .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٣) من القواعد الخمس الكلية: قاعدة المشقة تجلب التيسير .

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿١﴾.

وإذا كان الدين الإسلامي بهذا الوضع، وكونه دين اعتدال وتوسط وقصد في كل شيء، علم أن الغلو فيه والزيادة على اعتداله والتشدد في قصده، ضلال عن هديه وبعد عن مقاصده، وكذلك في التفريط والتهاون بأحكامه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ^(٢)، وقال سبحانه فيمن خالف صراطه المستقيم فحرم ما أحله الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ^(٣)، فعد هذا الفعل من الاعتداء على شرع الله وحكمه وتقديره .

- ومن مقررات عقيدة أهل السنة والجماعة التمسك بالكتاب والسنة والبعد عن مزالات الأقدام في الأفهام والأفعال، كما قال الطحاوي في عقيدته: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو بين الغلو والتقصير). وقال: (ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم) أه .
وأول ما يعول عليه في التشخيص والعلاج قوله تعالى من آخر

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٧ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)، ولا شك أن الغلو طغيان، فهذا تحذير منه سبحانه من طريق الغواية وأمر بلزوم في منهاج الاستقامة فتأمل !
وهذه بعض ما تيسر الوقوف عليه من الآيات والأحاديث التي تحدد معالم موقف الإسلام من الغلو في الجملة :

١- قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

ويضاهئون: يشابهون ويمثلون، كما هو عند غلاة الرافضة من القول بالحلولية، والتناسخ وعند غيرهم .

٢- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون))^(٣).

المتنطعون هم المجاوزون الحد، المتعمقون الغالون في القول والفعل والفكر. فتوعدهم النبي عليه السلام بالهلاك وكررها ثلاثاً للتأكيد، ولا أشد من هلاك الدين والله المستعان .

(١) سورة هود، الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٠ .

(٣) رواه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، وأبو داود في كتاب السنن، باب لزوم السنة، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٥-٣١٨ .

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً :

((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً
بشبر وذراعاً بذراع، ف قيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال:
فمن الناس إلا أولئك)) ؟. رواه البخاري ومسلم ^(١) .

قاله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التحذير والنهي عن
سلوك مسالكهم واتباعهم، وفي إشارته إلى فارس والروم: تحذير من
ديانة أهل هذين القطرين؛ ففارس مجوس فيهم يهود في أصبهان،
والروم نصارى وفيهم يهود .

وفي حديث أبي سعيد عندهما التصريح باليهود والنصارى،
ولا تعارض بين الحديثين. ((فمن الناس إلا أولئك ؟)) استفهام على
سبيل التقرير المتضمن للإنكار، وفيه حصر الضلال والاتباع بأولئك
أهل فارس المجوسية، ومنهم دخل على المسلمين باب الفتنة وانفتح
على مصراعيه .

٤- وعن أنس رضي الله عنه قال: أنه كان يصلي بالمدينة
صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال له
رجل: يرحمك الله أرايت هذه الصلاة المكتوبة أو شيء تنفلته ؟ قال:

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:
((لتبعن سنن من كان قبلكم)) ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن
اليهود والنصارى رقم ٢٦٦٩ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

إنها المكتوبة وإنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^(١)، رواه أبو داود وأبو يعلى وغيرهما^(٢).

٥- وقال البخاري في صحيحه، باب الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة)) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))^(٣).

الحنيفة ملة إبراهيم عليه السلام، السهلة السمحة الميسورة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤)، قال الحافظ في الفتح ١١٧/١، ١١٨.

(١) سورة الحديد، الآية ٢٧.

(٢) أبو داود كتاب الأدب، باب الحسد، ورواية أبي يعلى ذكرها ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية.

(٣) البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب في رسالة حافلة اسمها ((بيان المحجة في سير الدلجة)) .

(٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

((والمشادة - بالتشديد - المغالبة، يقال: شاده يشاده مشادة إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب قال ابن المنير: إن هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الكمال والأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحموده، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملal أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل)) أ هـ .

والسداد هو التوسط وطلب الصواب من غير غلو أو تقصير وعليه دلالة اللغة .

قال ابن رجب في هذا الحديث: ((فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع، والقصد أقرب إلى الدوام، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ؛ كما قال : من أدلج بلغ المنزل)) .

ومنه حديث أنس مرفوعاً: ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))^(١).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها

(١) البخاري في كتاب العلم، باب ما كان رسول الله عليه السلام يتخولهم بالوعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم في كتاب الجهاد، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير رقم ١٧٣٤، وانظر: الفتوح ١٣٧/١-١٩٦ .

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة. قيل: وما الرويضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة))^(١). رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الذهبي ورواه أحمد في المسند ٢٩١/١ .

- قال السندي في شرحه على السنن ٤٩٤/٢: «خداعات، بتشديد الدال، للمبالغة، قال السيوطي: أي تكثر فيها الأمطار ويقل الريح... وقيل: الخداعة القليلة المطر، من خدع الريق إذا جف، والرويضة، بالتصغير، التافه الحقير قليل العلم» أه .

وفي رواية الذهبي في التلخيص على المستدرک: «قال: السفیه يتكلم بأمر العامة» أه .

وهذا واقع كثير من الفرق الغالية الخارجة عن الإسلام أو التي كادت تخرج عن الإيمان قديماً أو حديثاً. فما زالوا يتخذون السفهاء أئمة وزعماء وربما شابههم بعض المسلمين في جماعتهم وطوائفهم فالله المستعان على انقلاب المفاهيم واختلاف الموازين .

٧- وكتب رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن القدر فأجابه: «أما بعد: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في الأمر، واتباع

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب شدة الزمان رقم ٤٠٣٦، والحاكم ٤/٥١٢، وله شاهد عند أحمد في مسنده عن أنس ٢٢٠/٣، والحديث ذكره الألباني في الصحيحة برقم ١٨٨٧ .

سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدثه المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق .

فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وبيصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصد، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم قوم فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلّى هدى مستقيم .

كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير - بإذن الله - وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثراً ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يعزّون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزد الإسلام بعد إلا شدة: أي الشدة في العزاء والإيمان به، من القول بأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وما

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

أصابنا لم يكن ليخطئنا .

ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم، أن يكون في شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدرته، وأنه مع ذلك لفي محكم كتابه: منه اقتبسوه، ومنه تعلموه . ولئن قلت: لم أنزل الله آية كذا ولم قال كذا ؟ لقد قرأوا ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله بكتاب الله وقدره وكتبت الشقاوة وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا)) أ هـ ^(١).

الله أكبر فما بعد القول من قول، رسم فيه منهج أهل الكتاب والسنة والجماعة، فيما يتعلق بالقدر خاصة وغيره، أبدع رسم، فرحمة الله تعالى عليه، كيف حذر من الغلو وحاذر من ضده !.

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم ٤٦١٢، من طريق محمد بن كثير ثنا سفيان به من ثلاثة طرق . والأحاديث والآثار الواردة في ذم القدرية خاصة كثيرة جداً، انظرها في كتاب السنة لأبي داود ضمن السنن، وفي سنن الترمذي كتاب القدر، وسنن ابن ماجه كتاب الفتن، وشرح أصول اعتقاه أهل السنة للالكائي ٤/٦٢٧-٧٥٠، والسنة لعبدالله ابن أحمد ٢/٣٨٤-٤٣٣، والشرعة للأجري ٢٢٧-٢٣٥، والسنة لابن أبي عاصم وأمثالها .

والنصوص من الأحاديث النبوية في النهي عن الغلو والابتداع والحذر منها كثيرة مستفيضة لو اجتمعت لبلغت سفراً ضخماً، وهي مع ذلك مبثوثة في ثنايا الصحاح والسنن والمسانيد ومدونات السنة وهي مشهورة غير مجهولة والحمد لله، ومظانها من كتبها :
كتاب العلم، الإيمان، الفتن، لزوم الجماعة، الاعتصام بالكتاب والسنة، التوحيد، السنة، المناقب والفضائل .

الخاتمة :

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وفي ختام المطاف حول حقيقة الغلو اللغوية والشرعية، وتاريخه ونشأته، ودواعيه وأسبابه، وما ورد من النصوص والأدلة الشرعية في ذم الغلو والتحذير منه .
فقد تحصل أن الغلو في معناه اللغوي يدور حول تجاوز الحد وتعديه اتفاقاً وربما أطلق عليه نقصاً بطرد: « كلا طرفي الأمور ذميم » .
أما الحقيقة الشرعية للغلو فهو مجاوزة الاعتدال والوسطية الشرعية في الاعتقاد والقول والفعل، والغالب الأعم تناول الغلو لذوات المعظمين، وللمقالات العقدية .

وبالمناسبة فلا تلازم بين الغلو والتطرف، كما يطلق في بعض وسائل الإعلام وفي العبارات الصحفية، غير المحررة؛ فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف .

وهاهنا ملاحظة أخرى وهو أنه ربما يربط الغلو والتمسك

الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه ————— د. علي بن عبدالعزيز الشبل

بالشريعة، وهي نظرة قاصرة يتبناها المقصر والمتهاون في شعائر دينه تجاه من هو أمثل منه تمسكاً واحتراماً لأحكام دينه، وهذا ما يتردد على ألسنة بعض الساحة والإعلاميين مغالطة أو غفلة .

وبالنظر إلى تاريخ الغلو فهو قديم مرتبط بأسبابه الكثيرة والتي يجمعها الأعراس عن دين الله وما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه بقدر ما ابتعد المرء عن منهاج رسل الله بقدر ما وقع في الإفراط والتفريط، تناسباً طردياً، وما غلو الفرق الإسلامية في أبواب العقيدة أو الشريعة أو السلوك إلا نموذج واقعي لهذه النتيجة ومحقة لها . مما يحتم على المسلمين جماعات وأفراد التمسك بهديه صلى الله عليه وسلم والاعتصام بما جاء به، والتحاكم إليه والدعوة إليه فبذلك وحده تحصل لهم الهداية والعصمة، ويكونون شهداء على الناس، وفق الله الجميع لذلك وأعانهم وهداهم إليه إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين .